محاضرات مقياس الأدب النّسوي الجزائري- س1 ماستر- أدب جزائري

المحاضرة الأولى: الخطاب الأدبي الجزائري بداية التّأنيث

التّعريف بمصطلح الأدب النسوي و بالمصطلحات ذات الصّلة:

البحث في الأدب النسوي تعترضه إشكالية التعدّد المصطلحي لهذا الموضوع، إضافة إلى أنّ ما يحتويه هذا الأدب من خصوصيات تفرّد بها عن غيره من الآداب الأخرى، وهو ما ساهم في صعوبة ضبط مدلوله و الوقوف على ماهيّته؛ كونه مفهوما أضحى من أكثر المفاهيم شيوعا ودورانا على الألسن بين المهتمّين والمنخرطين في ميدان النّقد و الأدب والفكر بصفة عامّة على اختلاف مشاربهم و توجّهاتهم، وانتهت في آخر المطاف التّصوّرات إلى تعدّد المسمّيات و تردّدها بين القبول و الرّفض، و من المسلّمات المتعارف عليها في شروط وضع المصطلح أن تكون دلالته موحّدة و واضحة لا اضطراب فيها ولا غموض، لكن هذه المسلّمة - في مصطلح الأدب النّسوي- أضحت من الإشكالات الّتي اختلفت فيها الأفهام، و كثرت فيها الأقلام، فالأدب النّسوي أحد المصطلحات الجدلية التي أخذت حيزا كبيرا من البحث و الاهتمام . فقد تعدّدت فيه المصطلحات الّتي ألحقها به الكثير من النّقاد باعتبارها مرادفة له كمصطلح: النسائية ، والأنثوية، الأدب النسائي، أدب المرأة ، لكن ثمّة فوارق بين هذا المصطلح و بين ما يظهر أنّه يضارعه من حيث المعنى، فمنهم من يراه يكتسب مشروعيته النّقدية عندما يتعلّق الأمر بأسس المواضيع أو المضامين التي يطرحها ويثيرها داخل بنيات الواقع المعيش حول موضوع المرأة و المشكلات التي تعترض سبيلها، حيث تثير تلك المصطلحات "مثل الأدب النسائي " و " أدب المرأة " كثيرا من التّساؤلات حول مضمونها وحدودها، وفي الأغلب تتّجه الأذهان لدى سماع مثل هذه المصطلحات إلى حصر حدود هذا المصطلح بالأدب الذي تكتبه المرأة، أي بتحديده من خلال التّصنيف الجنسي لكاتبه لا من خلال المضمون وطريقة المعالجة[1]. و من المصطلحات الدّالة بعض المفاهيم في ذلك مايلي:

[1]- حسام الخطيب، حول الرواية النسائية في سوريا، وزارة الثقافة- دمشق، 1915م، ص 79

الأدب النسوي: مصطلح دال على حركة سياسية إيديولوجية فكرية تسعى إلى تقويض النظرية البطريركية[1]، و تحاول أن يسترجع حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها في المجتمع، وهذا"لا يعني بالضّرورة أنّ امرأة كتبته، بل يعني موضوعه نسائي[2] .

الآدب النسائي :هو مصطلح علمي بحت، متعلق ببيولوجية الجنس، والذي يحيل إلى المرأة، وبالتالي فهو "ليس مصطلحا فنيا، ولا يدل على اتجاه أو على مدرسة أو إيديولوجية ما[3] .

الآنوثة أو الآنثوية: هي اسم لمجموعة الخواص لصفات المرأة والمحددة ثقافيا واجتماعيا[4] ناتجة عن التربية والتنشئة، مثل :الحياء والخجل والحنان والخوف...، ومصطلح كتابة المؤنث هو كل" ما تقوم به الأنثى وما تتّصف به، وتنضبط إليه[5] .

كتابة المرأة : هو الآدب المكتوب بأقلام نسائية، أو هو كلّ ما تكتبه المرأة من مواضيع تتعلّق بالأنا و الآخر.

- و من المصطلحات المتداولة في هذا الفنّ أيضا نجد : النصّ الأنثوي و أدب الأنوثة والنصّ المؤنّث لدى زهرة جلاصي[6] ،و أدب المرأة عند رشيدة بن مسعود[7]، و الأدب الحريمي عند بوشوشة بن جمعة [8] ، و غير ذلك من المصطلحات الّتي تحيل على وجهات نظر معرفية متعدّدة، مع صعوبة الاتّفاق على وضع مصطلح موحّد .

- و من جهة التّعريف بهذا المصطلح فإنّه :" أدب ينخرط في الحركة النّسائية الهادفة إلى النّضال من أجل تحسين وضع المرأة في المجتمع و هي النّزعة الّتي يعبّر عنها بالفرنسية بمصطلح (feministe)،فالأدب النّسائي هو المقابل العربي وليس(lettirature feministe)

---

[1]- النظرية البطريكية هي: نظام أبوي ،بالإنجليزية **Patriarchy** : يعني نظام اجتماعي يمتلك فيه الرّجال السّلطات الأساسية في المجتمع، من ضمنها السلطات السياسية والأخلاقية والقانونية، مما ينتج عنه امتيازات عديدة للرجل وسيطرة على حقوق الملكية. في الحقل الأسري، يتحكم الآباء (أو شخصية-الأب) في النساء والأطفال، ويفرضون سيطرتهم عليهم. تاريخيًا، تمثل النظام الأبوي في العديد من المؤسسات الاجتماعية والقانونية والسياسية والاقتصادية و الدينية.

[2]- عبد العالي بوطيب، الكتابة النسائية الذات والجسد، مجلة فصول ، العدد 75، 2009م، ص27

[3]- محمد طرشونة،نقد الرواية النسائية في تونس، مركز النشر الجامعي، تونس،ط 1 : 2003م، ص06

[4]- المرجع نفسه، ص34

[5]- نازك الآعرجي، صوت الآنثى، دار الآهالي، دمشق سوريا، دط،1997 م ، ص26

[6]- زهرة جلاصي، النص المؤنّث، د ط، سراس للنّشر، تونس، 2000م، 9-11

[7]- بن مسعود رشيدة، المرأة والكتابة سؤال الخصوصية/بلاغة الاختلاف، ص68

[8]- بوشوشة بوجمعة، الرواية النسائية المغاربية، منشورات المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط 1،2003 م،ص23

وهي عبارة تترجم بأدب أنثوي"[1] ،و من حيث دلالة هذا المصطلح على النّتاج الأدبي للمرأة – باعتبارها كاتبة ومبدعة- ترى يمنى العيد " أن مصطلح الأدب النسائي يفيد معنى الاهتمام وإعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة العربية الأدبية وليس عن مفهوم ثنائي أنثوي ذكوري[2] ، و نجد هذه النّاقدة ترى أنّ هذت التّوجّه الأدبي الخاص بالمرأة أملته جملة الظّروف والسّياقات التّاريخية ، بمعنى أنّها " ليست خصوصية فنيّة ، بل إنّها تتغيّر حسب المكان والزّمان، على معنى أنّ هذا التّصنيف أو هذا المصطلح ينظر إليه من جانب اجتماعي تاريخي و ما ينطوي تحته من مأساة و معاناة للمرأة، لا من جانب فنّي"[3]، وفي مقابل هذا الطّرح أو هذا التّصوّر نجد أحد الباحثين يرى أنّ هذا الأدب هو وليد الصّراع الأدبي بين الرّجل – باعتباره المسيطر على السّاحة الأدبية- وبين المرأة الّتي لا يمكن إغفال طاقاتها و إبداعاتها الفنية في شتّى الفنون الأدبية ، من شعر ورواية و قصص وغير ذلك، يقول بوشوشة بن جمعة " كان لظهور مثل هذه الكتابات الصادرة عن المرأة أن لفتت أنظار النقاد إليها، ليس لما تتوفر عليه من قيم فكرية و جمالية فحسب ، بل و لصدورها أساسا عن جنس الأنثى الذي يعلن عن وجوده، و يسجل حضوره في الحقل الأدبي الذي كان حكرا على الرّجال أو يكاد"[4] .

الخطاب الأدبي الجزائري بداية التّأنيث:

تعتبر الفوارق التّركيبية و النّفسية بين الرّجل و المرأة إحدى العوامل الّتي فرضت وضعا جديدا في الكتابة الأدبية ، و في ذلك يذكر أحد الباحثين أنّ "اختلاف خيال المرأة عن خيال الرجل استدعى اختلاف الذاكرة النسوية عن الذاكرة الذكورية"[5] ، الأمر الّذي حفّزها على البدء في الكتابة الأدبية إظهارا لإبداعها و تدوينا لمشاعرها و عواطفها وانفعالاتها . و هو ما ارتبط ببداية التّأنيث على المستوى الأدبي لتصوير مختلف جوانب تجربتها الخاصة و ما تخفيه من مكنونات ورغبات ، فكان لابد لها من خطاب أدبي تؤسّس من خلاله رؤيتها للواقع و الذات .

---

[1]- نور الدّين الجريبي، صورة الرّجل في الرّواية النّسائية العربية ، الملتقى الثّالث للمبدعات العربيات، داركتابات، ط1: 1991م، ص94

[2]- يمنى العيد، الرواية العربية (المتخيل وبنيته الفنية)، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2011م، ص 137. .)

[3]- ينظر: سعيدة بن بوزة، سوسيولوجية الكتابة النّسوية ، النّقد السّوسيولوجي، وقائع الملتقى الدّولي الثّاني، حول الخطاب النّقدي الأدبي المعاصر، منشورات المركز الجامعي خنشلة ،2007م، ص367

[4]- بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، سوسة منشورات سعيدان، تونس، ص42

[5]- حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ص: 111

- بداية التّأنيث و أهم الكاتبات الجزائريات قبل الثّورة :

تذكر بعض الدّراسات و المصادر أنّ البداية الفعلية للكتابة النّسوية في الجزائر كانت باللغة الفرنسية في عشرينيات القرن الماضي، و من الكاتبات : طاووس عمروش، جميلة دباش، ليلي عواشات وغيرهن، و محور الكتابة في تلك الفترة هو البحث عن الذات والتطرق لمختلف المشاكل الاجتماعية الّتي عانت منها المرأة كالتّهميش والعنف، و مع بداية ثورة التحرير الوطنية قاومت المرأة الجزائرية الأديبة إلى جنب الرّجل من خلال كتابتها حول الثورة ورسم معاناة الجزائريين مع الاستعمار، بل انضمّت إلى صفوف جبهة التحرير الوطنية مثل" الأديبة مرليز بن حييم التي عرفت بإسمها المستعار مريم بن أو ميريام بن (1928-2001)"،و ممّن ساهمن في المقاومة و نشر الوعي النّسوي الكاتبة جميلة دباش الّتي أنشأت المجلة النسوية «أكسيون « «action» سنة 1945 ، و في نفس السنة أصدرت أول رواية بعنوان «ليلى بنت الجزائر»، و من الكاتبات اللّواتي يمثّلن الجيل الأوّل في الكتابة الأدبية النّسوية الجزائرية الأديبة المخضرمة فاطمة الزهراء إيملحاين التي عرفت باسمها المستعار آسيا جبار[1]، الّتي كتبت باللّغة الفرنسية عن المشاكل التي تعاني منها المرأة الجزائرية و ما تعيشه في واقع مأساوي بظروفه العرفية و الاستعمارية، مع الإشارة في هذا السّياق فيما يتعلّق بالكتابة الأدبية النّسوية الجزائرية باللّسان الفرنسي و- بحكم الإزدواجية اللغوية في الجزائر و الّتي لها ما يبرّرها من عوامل تاريخية و ثقافية و اجتماعية، و بالأخصّ محاربة العقيدة و اللّغة العربية- يرى الدكتور" أحمد منور أنّها " لم تكن وليدة الخمسينيات من القرن الماضي و لم تكن منصوبة كدلالة أدبية في هذه الفترة، بل ترجع هذه الكتابة إلى العشرينيات من القرن الماضي...ومن النّساء اللّواتي كتبن في ذلك يذكر الكاتبة " جميلة دباش"[2] ، و من النّتاج الأدبي لهذه الكاتبة رواية "عزيزة" سنة 1947م، على أنّ الكتابة الجزائرية باللّسان الأجنبي في نظر بعض الباحثين لا تنفي عنه انتماءه الوطني، و هو ما يراه عبد الله الركيبي حيث يقول : " و جملة القول فإنّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، قد أوجد لظروف و أسباب في مرحلة معينة، و هو إن كتب بلغة أجنبية، فإنه

[1]- ينظر: الأديبات الجزائريات من رحم معاناتهن ولدت إبداعاتهن، مقال بجريدة الإعلام، ماي 2018م، العدد 04، ص15

[2]- ينظر: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي الهوية بين الشكل والمضمون ، بن تربعة، مقال منشور بجريدة المساء بتاريخ 05-12-2007م

عبّر عن مضمون جزائري و واقع وطني، الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا"[1] ، و من الإرهاصات الأولى للكتابة النّسوية الجزائرية ما كتبته الطاوس عمروش سنة (1938م – 1939م) التي كتبت "سنة 1947رواية (الزنبقة السوداء)، التي تعد أول رواية نسائية مغاربية باللغة الفرنسية"[2]، ولها "رواية ليلي فتاة من الجزائر" ، و تعد جميلة دباش أول امرأة جزائرية تنشئ مجلة مختصة بشؤون المرأة في الأربعينيات، كما اعتبرت أول روائية جزائرية اهتمت بالمسائل الاجتماعية والتربوية مثل وضع المرأة الاجتماعي، ومسألة تعليم الجزائريين"[3] ، و من الكتابات الأولى في الأدب النّسوي الجزائري نجد رواية "عزيزة" عام 1947م و "ليلى آنسة الجزائر" عام 1959م للكاتبة و الرّوائية جميلة دباش، و من الرّائدات في الكتابة الأدبية الجزائرية " سيا جبار " و اسمها الحقيقي" فاطمة الزهراء إيمالاين" حيث تتجلّى مكانتها الأدبية في إصدارها للعديد من الأعمال الروائية، فبدأت انطلاقتها في" عالم الكتابة برواية العطش والتي كتبتها وهي ابنة العشرين ربيعا ونشرتها عام 1959 م، و قد استعارت الروائية" جبار "من أسماء الله الحسنى و ارتضته اسما للشّهرة"[4]، كما أنّ مضمون كتابتها يحيل على قضيّة التّأنيث في الكتابة الأدبية ، و الحديث عن الصّراع الّذي عرفته المرأة الجزائرية مع واقعها آنذاك، حيث معاناتها من الجهل و المحاصرة و التهميش و العزلة .

المحاضرة الثّانية: الوعي الثّقافي النّسوي:

1- عوامل الوعي:

عانت المرأة الجزائرية كلّ صور القهر و التّهميش و القمع خلال فترة الاحتلال الفرنسي إضافة إلى سيطرة العادات والتقاليد التي كانت تحرم فكرة تعلّم المرأة، و قد كان البعض من المثقّفين يرى أنّ تعليم المرأة ذريعة إلى الانحراف والفتنة، هذا مع تلك الوضعية الاجتماعية المأساوية و المزرية الّتي كانت تتخبّط فيها المرأة الجزائرية؛ لذلك كان من أوجب الواجبات الشّرعية و البواعث الوطنية تعليم هذه المرأة و توعيتها بكلّ الأساليب المتاحة

[1]- عبد اللّه الركيبي.- القصة الجزائرية القصيرة.- الجزائر، م.و.ك، ط.1، 1983.- ص.249

[2]- مسعودة لعريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، موفم للنشر، الجزائر ، د.ط ، 2013 م ، ص27.

[3]- بعلي حفناوي، الرواية النسوية الجزائرية تأنيث الكتابة وتأنيث بهاء المتخيّل، ص24

[4]- عائشة إيدير، أنطولوجية الرواية النسائية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مجموعة مؤلفين، أعمال الملتقى الوطني الرواية النسائية في الجزائر_النشأة وأسئلة الكتابة، ص 15

باعتبارها المدرسة الّتي تنشأ فيها الأجيال الصّاعدة، و النّواة الأساسية لتكوين النّخبة المعوّل عليها، و بالفعل استطاعت المرأة الجزائرية تجاوز تلك المحن العصيبة من خلال جملة من العوامل الّتي ساعدت على تعليمها و نشر الوعي في محيطها، ومن ذلك :

- دور جمعية العلماء المسلمين: فقد كانت المرأة الجزائرية محرومة من حقّ التّعليم لولا مساعي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى ضرورة تعليمها، و **لم يكن وجودها في السّاحة الأدبية و العلمية لولا فضل اللّه- سبحانه- ثمّ جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس-رحمه اللّه-، فكان أول من أولى اهتماما بالمرأة وشؤونها، وفتح أقساما خاصة لتعليم البنات** [1] **، و هو الأمر الّذي يحيلنا على البدايات الأولى للوعي الثّقافي في السّاحة الأدبية النّسوية الجزائرية، كما ندرك الدّور الّذي قامت به جمعيّة العلماء المسلمين منذ تأسيسها سنة 1931م، من خلال نشر العلم والتّوجيه و تفعيل مساهمة المرأة في ظلّ الفكر الإصلاحي الّذي تبنّته هذه الجمعية، وفي هذا السّياق تقول الكاتبة عائشة عبد الرحمان" و كنت أرى أنّ جمعية علماء الجزائر قد جاهدت جهادها الأكبر في هذا الميدان لتحمي الأمة الجزائرية عناصر أصالتها، و كانت أقلام القادة العلماء من أمضى الأسلحة لمعركة التحرير في مرحلة التعبئة الثورية التي سبقت الصّدام المسلّح..."**[2]**، و قد فتحت جمعية العلماء - بعد أن توفر طاقم التدريس على عدد المعلمات - مدارس خاصة للبنات تقدم فيها دروسا علمية ، و أخرى تطبيقية في الفنون الأخرى ممّا يخصّ المرأة الجزائرية، و كان من أشهر هذه المدارس: مدرسة عائشة في تلمسان، ومدرسة تهذيب البنات في البليدة، ومدرسة شريفة الأعمال في الجزائر،**

- تأسيس بعض الجمعيات النّسوية و من ذلك الجمعية الأولى التي كانت تطلق على نفسها جمعية "نهضة المرأة المسلمة"، و قد تأسست في تلمسان في بداية عام 1948 برئاسة السيدة فتيحة كاهية .

[1]- يحي بوعزيز: المرأة الجزائرية وحركة الاصلاح النسوية العربية، دار الهدى للطباعة والنش روالتوزيع، عين ميلة، الجزائر، دط، 2001 ،ص 4

[2]- بنت الشاطئ: الأعمال القصصية الكاملة لزهور ونيسى، وزارة الثقافة، الجزائر ، ط1: 2007م، ص12

- جمعية الفتاة العربية الجزائرية" فقد ظهرت في الجزائر العاصمة في ربيع 1948، وكانت من أنشط أعضائها السيدة أنيسة بومدين التي نشرت مقالا تعريفيا بها في جريدة "الأسبوع" التونسية. أن هذه الجمعية أسستها طالبات درسن من قبل على يد الأستاذ محمد الحسن فضلاء، وهو من أنجح أساتذة مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- المدرسة الخاصّة بتعليم الفتيات و الّتي أسّستها السّيدة شامة بوفجي المولودة بولاية برج بوعريرج في 13 مارس 1922 ، حيث كانت تشمل الدروس الدينية و التعليم العام و الحرف المنزلية، وقد نجحت في استقطاب البنات اللاتي أقبلن عليها حتى فاقت طاقة استيعابها فتأسّست لها عدّة فروع في الأحياء الكبرى للعاصمة بمساعدة الأولياء.

- جمعية النساء المسلمات الجزائريات" و هي تنظيم نسائي جزائري ذو توجه وطني صرف تأسّست الجمعية في 24 جويلية سنة 1947 بالجزائر العاصمة برئاسة و تنشيط السيدة "مامية شنتوف " رفقة بعض الطالبات و المثقفات ، مع الإشارة إلى أنّ جذور هذا التنظيم النسائي يعود إلى سنة 1945، أين تم طرح ومناقشة دور المرأة الجزائرية في هذه المظاهرات[1]

- النشاطات الاجتماعية والثقافية المتمثلة في توعية المرأة الجزائرية بأهميتها في المجتمع والمساهمة بفعالية في تقديم المساعدات المختلفة على العائلات الفقيرة، وعوائل المعتقلين السياسيين الذين اعتقلتهم الشرطة الفرنسية، وتنظيم الحفلات والتظاهرات الثقافية وعرض المسرحيات ذات الأهداف السياسية والاجتماعية الهادفة باللغة العربية في مدينة الجزائر وتلمسان ووهران[2] .

- بروز الحركة النّسائية في المشرق العربي ، حيث تعدّ في نظر بعض الباحثين أولى معالم الأدب النسائي الّذي لعب دورا كبيرا، وكان له الصدى الايجابي في التقليل من حدة نظرة المجتمع الدونية للمرأة في الجزائر، فقد كانت المرأة الجزائرية تعيش في وضع اجتماعي مغلق

[1]- قداش، محفوظ، تر: أمحمد الباز، الحركة الوطنية الجزائرية (1939-1951)، ج2، دار الأمة، الجزائر، ص 1093

[2]- لامي خضراء ، المرأة والثورة: صفحات من التضحية والمعاناة، مجلة أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1996، ص24

و محاصرة بالتقاليد والجهل والتهميش، تتحرك في عزلة بعيدة عن أي اتصال بمثيلتها في الأقطار العربية الشقيقة التي عرفت حركة نسائية في وقت مبكر .

- الدّافع النّفسي و البحث عن الذّات و فتح آفاق تعلّم المرأة، ودخولها حقول المعرفة والإبداع الفكري والأدبي.

- السّعي النّسوي من أجل مكابدة المراحل العسيرة الّتي امتدّت تاريخيا وجغرافيا، و التّخلّص من الأحكام المجحفة، حيث ارتباط الكتابة الأدبية عند المرأة بكسر القيود والأعراف الماضية ، و خاصّة ما أملته الظّروف البيئية و الضّغوطات الاستعمارية .

2- التّعليم في الفئة النّسوية:

- ارتبطت عملّية التّعليم في الفئة النّسوية الجزائرية بظهور مجموعة من النساء في شكل نخبة تصدّرن الحركة النسوية الإصلّاحية بالجزائر، و أصبح البعض منهن يكتبن وينشرن في الصحف والمجلّات، ويؤلفن القصص وينظمن الأشعار[1]، و كما ذكر آنفا فيما يتعلّق بأثر جمعية العلماء المسلمين في التّوعية النّسوية فقد أدرك «الشيخ بن باديس رحمه الله ببصيرة نافذة، منطلقا من الكتاب والسنة، ما للمرأة من دور ووظيفة، فأوجب تعليمها وإنقاذها مما هي فيه من الجهالة العمياء، ونصح بتكوينها تكوينا يقوم على أساس العفة وحسن تدبير المنزل»[2]، **و من المعلمات الرائدات عام 1947 في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة : حورية عربية وعقيلة كحلوش، ونعناعة ونيسي، وفي مدرسة الفلاح بوهران: فاطمة طياب، وأمينة زعنان، وحورية خثير، وفي مدرسة بلكور الآنسة فاتحة قبو، وفي مدرسة رويسو بالعاصمة، زينيب بوعامر، وفي مدرسة آقبو، حرمة الفاضلة ، و من المساهمات في جريدة البصائر زليخة عثمان إبراهيم معلمة بمدرسة دار الحديث بتلمسان، ومليكة بن عامر معلمة في مدرسة التهذيب بشلغوم العيد، وباية خليفة، وزليخة إبراهيم عثمان، وفريدة عباس، ولويزة قلال، وعائشة سحنون- نجلة الشيخ أحمد سحنون، وخديجة بوكثرة، ومليكة بن عامر وغيرهن ، و من شواهد النّشاط**

[1] - يمينة عجناك: قضايا المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر) زهور ونيسي أنموذجا (مجلة التبيين ، ،يناير2011،

[2]- حميداتو، مصطفى محمد ، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1: 1997م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ص: 30

التّعليمي في صفوف المرأة الجزائرية لأجل بعث الرّوح العلمية و الفكرية نجد بعض المقالات ؛ من ذلك مقال بعنوان(نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة) للكاتبة "فتيحة كاهية" ضمن جريدة البصائر سنة 1948م، كذلك من الأقلام النّسوية في الفترة ما بين 1947م-1954م نجد زوليخة عثمان إبراهيم الّتي كتبت عن الأمية المنتشرة بين البنات الجزائريات بسبب بعض الأعراف و الأفهام الخاطئة للشّريعة الإسلامية فيما يخصّ المرأة و حقوقها، حيث أكدت زوليخة عثمان إبراهيم على ضرورة التعبئة لإقناع النّساء بالتعليم و نشر العلم و محاربة الجهل و الأمية ، و من الكاتبات الجزائريات اللّواتي سجّلن أسماءهنّ في السّاحة الأدبية والتّعليمية " ليلى بن ذياب- المولودة في 26 جوان 1934)، فقد درست على والدها الشيخ أحمد بن ذياب، أحد أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فحفظت القرآن، وتعلمت قواعد اللغة العربية. كما كونت نفسها بنفسها من خلال مكتبة والدها من كتب الأدب. وكانت تنتقل معه عبر مدارس الجمعية و تساعده من خلال إعطاء الدروس للبنات والنساء. و كتبت سلسلة من المقالات عنوانها:" اخترت لك". وهي تختار في كل مرة موضوعا في الأخلاق والاجتماع تمهد له بمقدمات ثم تقتبس نصوصا من الأدباء والعلماء من الشرق والغرب، ثم تختمه بتوجيهات ونصائح ، و هذا ما يدلّ على الوعي النّسوي الّذي حرّض على التّعلّم و الممارسة الفعّالة في الحياة الأدبية.

المحاضرة الثّالثة:

بواكير التّأنيث:

تذكر بعض البحوث و الدّراسات في سياق الكتابة الأدبية النّسوبة الجزائرية أنّه" بعد الاستقلال ظهرت أول مجموعة قصصية سنة1967 مع زهور ونيسي في " الرصيف النائم " وأول مجموعة شعرية سنة 1969 مع " مبروكة بوساحة " وأول رواية سنة 1979 مع " زهور ونيسي– مرة أخرى – في " يوميات مدرسة حرة، و بعده -بدأت الأنوثة تنهمر نصوصا متنوعة

الأجناس متباينة البنى..."[1] ؛ لذلك **يعتبر مصطلح الأنوثة باعثا من بواعث الكتابة الأدبية النّسوية، ذلك أنّه مصطلح يحيل على الشعور بالذّات و إثباتها بكلّ مقوّماتها البيولوجية و العقلية و الوجدانية والاجتماعية و الإبداعية في الأدب والثّقافة و الفكر و غير ذلك، و رفض لكلّ نظرة أو تصوّر يحصر المرأة في جسد ، و هو ما شاع في الثّقافة الأدبية و في الكتابات التّاريخية ، على معنى أنّ الموروث الفكري الذّكوري قد" ارتكب مآسي كثيرة بحق المرأة ممّا جعل مصطلح "نسوي" يستمدّ قيمته الخاصّة و فاعليته الجديدة ، حيث يهدف إلى بناء حياة إنسانية جديدة للمرأة بوصفها كانت مستلبة في واقع التّعايش ضمن الوعي الذّكوري السّائد، فتكون كتاباتها الجديدة ذات صفات نضالية، نتاج مرحلة زمنية طويلة و غنية من التجاوز لبدايات الأدب الطليعي الأنثوي" [2]، و قد كان للبحث في قضايا المرأة من حيث إنسانيتها و طبعها و خصوصيّاتها علاقة وشيجة بنتاجها الأدبي و الفكري، ذلك أنّ " فحصها و تحديد طبيعتها و شروط تكوّنها كان الأصل الّذي منح النّسوية موضوعا خصبا و مشروعا للبحث، و قد أنتج كلّ ذلك كتابة أنثوية تنهل سماتها من تلك الهويّة، وكان لمفهوم الكتابة الأنثوية الفضل في تحويل النّقاش من البحث عن الكاتبات أنفسهنّ إلى كشف الأسباب وراء التّحيّز ضدّ النّساء"[3]، و على إثر تلك العوامل و الملابسات التّاريخية والأفكار الموروثة ، خاصّة تلك الموازنة الّتي رسّخت مفهوم التّباين الجنسي الّذي لم ينصفها حقّها، و ما ترتّب عنه من تجاهل و تغافل عن طبيعتها و خصوصيّاتها الخلقية والخُلقية ، و استبعاد القيم المتّصلة بها من حيث دورها و مكانتها الاجتماعية و نفسيّتها و ذاكرتها و إبداعاتها، فقد ذهب " الفكر النّسوي يروّج لكتابة أنثوية تكون المرأة مركزها، فيتشكّل العالم من منظورها ، و ذلك يقتضي لغة خاصّة تعتمدها في تمثيل نفسها وعالمها، لكن لا يقصد بالهويّة الأنثوية و**

---

[1]- -ينظر يوسف وغليسي خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه منشوا رت محافظة المهرجان .الثقافي الوطني للشعر النسوي وزارة الثقافة ط5 :قسنطينة 2008 ،ص12

[2]- حسين مناصرة :المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت،200 ص93

[3]- عبد اللّه إبراهيم، السّرد النّسوي الثّقافة الأبوية ، الهوية الأنوثة والجسد، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت- لبنان، ط1: 2011م، ص101

بالكتابة الأنثوية الاقتصار على ذات المرأة فقط، إنّما زحزحة الهيمنة الذّكورية المتغلغلة في الثّنائيات المتضادّة السّائدة، الرّجل/ المرأة، العقل/ العاطفة، القوّة/ الضّعف" [1] ، و في ظلّ هذا النّوع من الكتابة تسعى المرأة إلى توصيل رسالتها الأدبية المعبّرة عن أحاسيسها و كيانها، و ماضيها و حاضرها و مستقبلها، عن آلامها و آمالها ، تعبّر عن ذاتها و عن غيرها باعتبارها نموذجا لجنسها، من خلال" محاولة تحديد سمات لغة الأنثى ومعالمها و الأسلوب الأنثوي المتميّز في الكلام المنطوق الشفوي والمكتوب، و بنية الجملة وأنواع العلاقات بين عناصر الخطاب وخصائص الصور المجازية و الخيالية "[2]، و فيما يتعلّق بظهور هذا المصطلح من حيث مسايرته للأحداث؛ فإنّه يعتبر ظاهرة أدبية تزامنت مع ظهور حركات تحرير المرأة في القرن العشرين، و لا زال هذا الأدب على صلة وثيقة بالحركات النّسوية المطالبة بالمساواة والحريّة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية و ترى إحدى الباحثات أنّنا حينما نتحدّث عن الأدب و خطاب التّأنيث يجب أن ننتبه إلى مسألة هامّة، و هي أنّ التّأنيث ليس فعلا محدّدا و محصورا على المرأة، فالتّأنيث مرتبط بالخطاب اللّغوي، و هو نسق ثقافي يصدر عن الرّجل كما يصدر عن المرأة، و كذلك التّذكير هو أيضا نسق ثقافي يصدر عن المرأة كما يصدر عن الرّجل ، و كم من امرأة عزّزت الخطاب الذكوري بأشعارها وكتاباتها، كما أن للرجل دورا في تأنيث الخطاب اللّغوي الإبداعي، فيمكن اعتبار خطاب التّأنيث في الأدب كنسق ثقافي وإبداعي يمسّ الخطاب اللّغوي و الثقافة " [3]، و في ضوء هذا النّسق الثّقافي تجد المرأة الأديبة فضاءها و متنفّسها الّذي تبوح فيه بمشاعرها وانفعالاتها و آرائها تجّاه بيئتها و محيطها، و تفاعلها مع الظّروف و الوقائع؛ من خلال توظيفها للّغة بمختلف أشكالها و أنماطها التّعبيرية الّتي تحيل على جماليات الكتابة النّسوية ، و تكشف عن الهويّة الأنثوية و وصف المرأة باعتبارها منتجة للأدب بموضوعاته وأنواعه، حيث تتضمّن تلك

---

[1]- عبد اللّه إبراهيم، السّرد النّسوي الثّقافة الأبوية ، الهوية الأنوثة والجسد، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت- لبنان، ط1: 2011م، ص101

[2]- ميجان الرويلي وسعد البازعي : دليل الناقد الأدبي، ط2 ، الدار البيضاء،2000م، ص224-225

[3]- ميساء ملاح رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها جامعة بومرداس، وباحثة في الدراسات الأدبية والنقدية والمقارنة، الأدب النّسوي توجّه معرفي مرتبط بالحرية والمساواة، مارس 2017

الموضوعات محرّضات الإبداع الأنثوي، و جماليات اللغة الأنثوية، و هو ما يتوافق مع الرّأي المؤيّد لقضيّة تصنيف الأدب من حيث الجنس ، لأنّ اعتبار هذا الموقف " دليل نضوج و فهم عميق لأهمية الاعتراف بخصوصية النص المؤنّث"[1]، فهذا التّأييد له مسوّغاته المختلفة و الّتي تتجلّى في الملامح الجنوسية، و النّضالية والثّقافية و البيولوجية ، و ما يتعلّق بفكرة التّحدّي الفكري والعلمي الّذي يقف أمام فكرة تبعية الكتابة الأنثوية للجنس الآخر، و على حدّ تعبير إحدى الكاتبات فإنّ"الكِتابة النسائيَّة ظاهِرة فرديَّة واجتماعيَّة صحيَّة، وأن عود الكاتبات العربيات آخِذٌ في الاشتِداد "[2] ، و من الأشكال الأدبية الّتي سجّلت حضور الأقلام النّسوية نجد:

الشّعر:

من اهتمامات الكتابة النّسوية في مجال الشّعر؛ التّعبير عن كلّ ما يتعلّق بالمرأة ، و رصد المتغيّرات و الأحوال الّتي تواجهها في مجتمعها، و مدى تجاوبها معها دينا و عرفا وعقلا و عاطفة، لأنّها ليست بمنأى عن هذا الواقع ، حتّى و إن كانت بعيدة عنه من حيث الإقامة و المكان، لكنّها حاضرة من حيث مرجعّتها الدّينية و الّثقافية، و انتمائها الفكري و اللّغوي و التّراثي ، هذا الحضور يتجلّى في معالجة قضاياها الذّاتية بمختلف أنماط الكتابة الأدبية (شعر، رواية، قصص...) ، يقول يوسف وغليسي:" من الإنصاف لهذه الأنوثة أن نشير إلى أنّها عبّرت عن قضاياها وهواجسها الدّاخلية على لسان شاعرات قليلات في نصوص تعكس قضايا الأنوثة و طباع الأنثى (الحنو، الضّعف، الغنج، الغيرة، الكيد، التّقلّب، التّحمّل، الجمال...)[3] ، كما يتجلّى في كتابتها عن المجتمع و كلّ التّحديّات (السياسية و الإعلامية والاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و الثّقافية...) الّتي تفرضها الطّبيعة الحركية للحياة ، و هو ما جعلها تسجّل حضورها في العديد من المواضيع الحسّاسة و الأكثر أهمية :(كالحريّة ، و حقوق المرأة، و الوطن، و

---

[1]- ليلى محمد بلخير :خطاب المؤنث في الرواية الجزائرية ، منشورات مؤسسة حين الراس للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2016م، ص22

[2]- الهوية الأنثوية من الحكي الشفوي إلى الحكي الذاتي؛ جليلة الطريطر، الكتابة النسائية، محكي الأنا محكي الحياة؛ مجموعة من الكاتبات والكتاب، ص09

[3]- يوسف وغليسي:خطاب التأنيث-دراسة في الشعر النسوي الجزائري-منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني، ،قسنطينة2008، ص47

الهوية و التّراث...)،في ضوء كتابتها الأدبية و النّقدية ، بحيث " يبقى حال المرأة مع الكتابة، حيث جاءت هي المؤلّف ، و هي الموضوع و هي الذّات ، و هي الآخر، و إذا ما كتبت المرأة عن المرأة فإنّ صوت الجنس النّسوي هو الّذي يتكلّم من حيث أنّ الكتابة ليست ذاتا تميل فرديّتها، و لكنّها تميل إلى جنسها ، و إلى نوعها البشري و الذّات ، هنا هي ذات أنثوية تحوّل نفسها إلى موضوع ، و تحوّل حلمها إلى مكتوب ، وتجعل كابوسها لغة" [1] ، مع اعتبار الطّرح العميق و جمالية الأسلوب، و إن كان غيابها عن هذا في فترة من التّاريخ فهو راجع لأسباب عرفية و بيئية و ثقافية ،و من شواهد بواكير التّأنيث في الأدب الجزائري جملة المتون الشّعرية الّتي" عبّرت فيها الشّاعرات الجزائريّات عن قضاياهنّ ، و يبدو ذلك جليّا في نصوص :جميلة زنير و نادية نواصر، وسلمى رحال، و زهرة بلعاليا، وحبيبة محمدي و نصيرة محمدي وسميرة قبلي وزينب الأعوج وربيعة جلطي ...وذلك بمستويات مختلفة" [2]، و قد كانت النّصوص التّأسيسية الأولى للشاّعرات الجزائريات تمثّل بواكير تأنيث الشّعر الجزائري، و ذلك مع: سكينة العربي ، و وزليخة السعودي، صليحة مؤمن، مبروكة بوسماحة، أحلام مستغانمي، مريم يونس، ونور السّعدي و غيرهن .

القصيدة النّثرية:

يعدّ الفكر التّحرّري بمفهومه العام سببا من أسباب التّلوين الأدبي لدى الكاتبة الجزائرية ؛ لأنّه فضاء فسيح للتّعبير عن همومها و آمالها، و مجال مناسب لتحرير طاقاتها و إبداعاتها المختلفة، و من وجوه هذا التّحرّر ما نجده في كتابتها للقصيدة الشّعرية النّثرية – باعتبارها نموذجا تجديديا للنصّ الشّعري- يسعى إلى صياغة جديدة على مستوى البنية الخارجية للقصيدة، و قد برزت عدّة شاعرات جزائريات في ذلك و منهنّ: نادية نواصر، زهرة بلعاليا، سكينة بلعابد، خالدية جاب اللّه، و قد ذكرت الشاّعرة " ربيعة جلطي" في بحثها " جماليات القصيدة النّثرية" بعض الشّروط في كيفية التّعامل مع النصّ الشّعري من حيث شكله النّثري ، كما كانت فترة التسعينات الّتي مرّت

[1]- عبد اللّه محمّد الغذّامي، المرأة واللّغة المركز الثّقافي العربي، بيروت ، ط3: 2006م، ص210

[2]- يوسف وغليسي:خطاب التأنيث ، ص47

بها الجزائر من بين أسباب ظهور الكثير من الشاعرات الّتي نشرت أعمالهن في الجرائد الوطنية؛ كالنصر و الشعب والنهار و الحياة والشروق، وغيرها من الجرائد التي كانت تخصص للثقافة صفحة يومية أو أسبوعية، ومنهن من طبعت أعمالها خارج الوطن ، حيث تجاوزت الكاتبة الجزائرية العراقيل التي كانت تعيق سير تطور الكتابة النّسائية، و من الدّواوين التي نشرت في هذه الفترة:

-شظايا لجميلة طلباوي، سنة 2000

-ممرات الغيات لخيرة بغاديد،2002 سنة

-من التي هي المرأة ل: ربيعة جلطي،2003 سنة

-قطوف الموسم الراحلة ل :رجاء الصديق، سنة 2005

-امرأة المسافات ل:نادية نواصر، سنة 2003

-ما لم أقله لك لزهرة بلعاليا، سنة 2007

الرّواية:

لم تنفكّ الرّواية النّسوية الجزائرية عن الواقع الّذي عرفته الجزائر أثناء حرب التّحرير فقد تميّزت بخصوصية مزدوجة، تجمع بين الأسلوب اللّغوي الذي تُكتب به، و السياق الذي تكتب عنه ، فظهرت روائيات جزائريات يكتبن باللغة الفرنسية، في حين انصرفت روائيات أخريات للكتابة باللغة العربية عن الثورة و بطولات الثوّار و دور المرأة ومشاركتها في ذلك؛ لذلك صارت هذه الرواية ذات طابع ملحمي، و من إرهاصات هذا الفنّ في الأدب النّسوي الجزائري مشروع" رواية في أدب الرّحالة " لزوليخة سعودي الّتي توفّيت في الثلاثين من عمرها قبل أن ينشر لها أي عمل أدبي، إلّا أنّ المؤرّخين لهذا الفنّ في مسار الأدب النّسوي الجزائري يذكرون أنّ بدايته كانت مع الكاتبة "زهور ونيسي" في روايتها الموسومة بـ (يوميات مدرسية حرة)عام 1979م، فقد انطلقت" زهور ونيسي" من فكرة أنّ "الكتابة الفاعلة وسيلة تستمدّ حياتها من وجودها هي خليّة حيّة متطوّرة، تجدّد نفسها، إنّ الكتابة تحيي الكلمات، و تحيي حياة المجتمع و هو ساكن"[1]، و كانت مضامين رواياتها حول الوطن و المرأة و كفاحها إبّان حرب التّحرير وغير ذلك، كما كان لبعض

[1]- ونسي زهور، مقدّمة على الشّاطئ الآخر، الشّركة الوطنية للنّشر و التّوزيع، الجزائر، 1974م، ص15

الروائيات الجزائريات مشاركات و إسهامات في هذا الفنّ الأدبي بأسلوبهنّ الخاص في العديد من المواضيع المختلفة من حيث شكلها و مضمونها ، ومنهنّ: فاطمة العقون في رواية: رجل و ثلاث نساء، و أحلام مستغانمي في " فوضى الحواس" " وعابر سرير"، و فضيلة الفاروق في "مزاج مراهقة" و " تاء الخجل" و شهرزاد زاغر في " بيت من جماجم" و زهرة ديك في " بين فكي وطني" و " في الجنّة لا أحد" و ياسمينة صالح في " بحر الصّمت"، فهذا النّتاج يحيلنا على أنّنا أمام حقيقة تتعلّق بالأدب الجزائري و كما يقول أحد الباحثين: "أصبحت المرأة إنسانا متكاملا عقلا و روحا و جسدا عندها تفجّرت الكتابات الّتي تعالج قضايا المرأة والمجتمع"[1] ، و هو ما يدلّ غزارة التّأليف الرّوائي في الأدب النّسوي الجزائري. هذا الأدب الّذي ولجته المرأة الجزائرية في جميع مجالاته و منافسة بذلك الرّجل، حتّى أنّ بعض الشّاعرات يرفضن فكرة تخصيص أو تجنيس الأدب، و من الشّاعرات اللّواتي رفضن هذا التّصنيف أحلام مستغانمي حيث تقول: " أنا لا أؤمن بالأدب النسائي وعندما أقرأ كتابا لا أسأل نفسي بالدّرجة الأولى هل الّذي كتبه امرأة أم رجل[2] " ، و من النّقاد الّذين ذهبوا إلى رفض هذا التّقسيم: الناقد بوشوشة الّذي يرى أنّ "التمييز بين أدب نسائي وأدب رجالي على أساس الجنس مرفوض من قبل جلّ من كتب في الموضوع، فلا معنى لقولنا أن هذه الرواية أو تلك نسائية لمجرد أن مؤلفتها امرأة، إذ ليس من المناسب أن نصنف الأدب على أساس الذكورة و الأنوثة إلا إذا اقتنعنا بوجود خصوصية ما تبرر إفراد الأدب النسائي بالنظر و الدرس"[3] .

القصّة:

يؤرّخ الدّارسون لهذا النّمط الأدبي بمجموعة " الرّصيف النائم " و هي أوّل مجموعة قصصية ظهرت عام1967م باللّغة العربية للكاتبة "زهور ونيسي" ، حيث تناولت فيها موضوع الثّورة بكلّ أبعادها وانعكاساتها على الشعب الجزائري؛ بجكم أنّ " القصّة

---

[1]- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط 1 : 1428هـ، 2008م،ص113

[2]- حسين المناصرة النسوية في الثقافة والابداع عالم الكتب الحديث اربد الاردن ط 1 : 2008م، ص141

[3]- بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية أسئلة الإبداع وملامح الخصوصية الرواية العربية النسائية، الملتقى الثالث للمبدعات العربيات، دار كتابات، تونس: ط1،1999 م، ص93

الجزائرية الفنية النّاضجة خاصّة بالعربية قد ولدت مع الثّورة الجزائرية في1954م لأنّ الثّورة كانت الحلم الّذي طالما راود النّفوس واعتمل في الأفئدة"[1] ، و من الأعمال الأدبية لهذه الكاتبة مجموعة قصصية أخرى و هي: **"على الشاطئ الآخر" تظهر فيها التزامها بقضية المرأة الجزائرية و دورها النضالي ضدّ الظلم والقهر، بحيث لم تكن القصة النسوية الجزائرية بمعزل عن التّطوّرات الجارية في مجتمع يسعى إلى مواكبة الحداثة مع الالتزام بمميّزات المجتمع و قيميه**، و من الأقلام النّسائية في هذا الفنّ؛ الأديبة زوليخة سعودي من خلال مجموعة قصصية نشرت في مجلّتي آمال و الفجر، و من هذه القصص: عازف النّاي، و الجرح و الأمل، و من البطل، و من وراء المنحى، و عرجونة ، وهي مجموعة في كتاب " الآثار الكاملة لزليخة سعودي " للباحث شريبط أحمد شريبط، و قد تطرّقت إلى الموضوعات التي كانت تشغل بال المثقف الجزائري من نهاية الخمسينات، حيث اشتغلت على أدب الثّورة والأدب الواقعي، كما اشتغلت أيضا على موضوع الهجرة الجزائرية و الحرمان الاجتماعي الّذي يعتبر أبرز المواضيع، كما تعدّ القاصة و الكاتبة جميلة زنير أيضا من الأقلام النّسوية في مرحلة ما بعد الاستقلال في مجال الكتابة القصصية الجزائرية، فقد كتبت مجموعة من القصص منها: " لن يطلع القمر "سنة 1972م، و " حب في القرية الوديعة عام1977م"، بالإضافة إلى بعض المحاولات القصصية الأخرى، كحفصة بودية، و نورة السعدي، و ربيعة جلطي وأسماء أخرى ...، و يعود الفضل في تأسيس هذا العمل الأدبي النّسوي إلى زهور ونيسي و جميلة زنير و نزيهة المسعودي و زوليخة سعودي، حيث يمثّلن البواكير الأولى في الأدب النّسوي الجزائري الحديث والمعاصر، وهناك أسماء نسائية جديدة مثل ياسمينة صالح، فهيمة طويل، جميلة طلباوي، جميلة خمار، نسيمة عبد اللّه، عائشة بنّور، و يذكر الدكتور بوشوشة بوجمعة في تتبّعه لمسار الإبداع النّسائي في المغرب العربي من خلال كتابه المعنون بـ" بيبوغرافيا الأدب النسائي المغاربي "أنّ عدد القاصّات في الجزائر يبلغ21قاصة أنتجن26مجموعة قصصية ما بين (1967م و 2007م) ، و هو ما يبرز **إسهامات المرأة الجزائرية في القصة من خلال مجموعة من الصّور القصصية الّتي تُعرض فيها مظاهر الحياة، مع أنّ البعض منها اتّسم بالبساطة من حيث الشكل و**

[1]- عمر بن قينة:دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والمطولة، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 2 ،2009 ، ص20

المضمون، إلّا أنّ الغالب عليها أنّها كانت واقعية من حيث موضوعها، و تسعى لمعالجة القضايا و المشاكل المختلفة الّتي عرفها المجتمع في مجال السياسة و الاقتصاد والأحوال الاجتماعية و الإيديولوجية و غير ذلك .

المحاضرة الرّابعة:

القضايا الذّكورية في الكتابة النّسوية"

قضايا الرّجل في كتابات نسوية:

عند تتبّع النّصوص الأدبية النّسوية نجد الكثير من القضايا الّتي تخصّ الرّجل، من حيث (الحضور، الغياب، الشّخصية، المواقف، التّصرفات و السّلوكيات، السنّ، التّاريخ...) و من ذلك غياب الرّجل باعتباره أخا و سندا للمرأة، فقد كتبت عنه زوليخة السعودي في أبيات تعبّر فيها عن فراقها و رثائها لأخيها الّذي كان سندا و معينا لها على الحياة، و بفقده تملّكها الحزن و الألم، و بغيابه خيّم عليها الخوف و القلق، حيث تقول:

فيا أخي

هل تسأل في خلودك عن جرحنا الكبير

عن أمواج الحنين

تفيض في ظلمة الليل أنين

وأختك في الدرب جناحها كسير

خلفتها للحزن وللريح إذ يثور

لوحشة البرد وحرقة الهجير

مدامعي كيف أصونها

أزهاري السوداء هل أبذرها

هل أسير أ لاو أسير

ووحشة الدرب كيف أضيئها[1] .

و نجد حضور الرّجل في الخطاب الشّعري للرّوائية سهيلة قواسمية و هي تعبّر عن حنينها إلى الماضي، و إلى زمن الرّجولة و البطولة ، من خلال توظيفها لبعض الشّخصيات التّاريخية و مواقفها الدّالة على صلابة العقيدة ، وصفاء المحبّة والوفاء، تقول:

لا يمكن أن تموت ...أؤمن بك

أؤمن بك كما آمنت خديجة بمحمّد

أؤمن بك كما آمن الصدّيق بالأمين

أؤمن بك كما آمن الحواريّون بعيسى[2]

و يتجسّد حضور الرّجل في الكتابة النّسوية من خلال ذكر قضاياه القومية والوطنية التي كانت محل اهتمام المرأة، فعبّرت عنها في نصوصها الشّعرية من خلال رصدها لأهمّ التّحوّلات الاجتماعية والسياسية والفكرية سواء على الصّعيد الوطني أو العربي، و هو ما يجسّد انتماء الشّاعرة الجزائرية تاريخيا وقوميا دون الوقوف عند الحدود الجغرافية و الفوارق العرفية ، لأنّ ذلك يمثّل لديها فكرة الانتساب التّاريخي الحضاري والمصيري، الّذي تجتمع فيه المقوّمات اللّغوية و العقدية و الإنسانية دون اعتبار لجنسها على وجه الخصوص ، فقد كان" النصّ النّسائي الرّوائي المكتوب باللّغة العربية يعكس الهمّ الرّجالي ، و يتحدّث عن القضايا الّتي اهتمّ بها الكتّاب الرّجال"[3]. فكانت الشّاعرة مبروكة بوساحة أوّل من اهتم بالقضية الفلسطينية، و من القضايا الذّكورية الّتي كانت ضمن مواضيع النّصوص الشّعرية الجزائرية ما كتبته زينب الأعوج في"(رسالة اعتراف إلى الحكّام العرب) عام1977م، متحدّثة عن نكسة العرب و أسبابها ، وعن المستقبل الّذي يشوبه الوهن و الضّعف، أمّا الشّاعرة نجاح حّدة فتحدّثت عن واقع الموطن العربي و آلامه"[4] ،

---

[1]- من كتاب عبد الحميد مكون وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر 1998 م، ص157

[2]- سهيلة قواسمية، لن يمسّ قلبي بشر، الأجواد للطّباعة والنّشر، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1437ه، ص05

[3]- فضيلة الفاروق، بنية النص الروائي عند الكاتبة الجزائرية، ص 233، نقلا عن يوسف وغليسي:خطاب التأنيث ، ص85

[4]- ينظر: ناصر معماش، النص الشعرى النسوى العربى فى الجزائر : دراسة فى بنية الخطاب ، دار المدى للثقافة، ص: ص137

كما نقف على بعض القضايا الذّكورية في الكتابة النّسوية من خلال حضور السّمات الرّجولية (اللّغة ، الفكر ، الأسلوب) في الكتابة النّسوية نفسها ، و هو وجه من وجوه النّقد الموجّه لهذه الكتابة الأدبية، لأنّ " هناك نساء كثيرات كتبن بقلم الرجل و لغته و عقليّته...إنّهنّ نساء استرجلن، و بذلك كان دورهن دورا عكسيا"[1] ، و يبيّن وغليسي هذه القضيّة الّتي يعدّها من سلبيات الكتابة الشّعرية النسوية، و أنّها شكل من أشكال أَسلبة اللّغة و استرجال النصّ الّشعري النّسوي من خلال هيمنة القضايا الذّكورية، يقول: "هكذا ندخل بيوت الشّعر النّسوي من أبوبه الذّكورية إذن، و هكذا تفضح العتباتُ المذكّرة نصوصها المؤنثة ، لتكشف عن شروخ نفسية عميقة في أعماق المرأة الشاعرة..."[2].

كما يمكن الوقوف على قضيّة ذكورية أخرى في الكتابة الأدبية النّسوية، وهي موقف المرأة الكاتبة و هي تعبّر عن ردّة فعلها نحو الرّجل باعتباره مهيمنا على سلطة الحياة بكلّ أشكالها أو ما يعبّر عنه بالنّظرية البطريكية، فقد رفضت الكاتبة الجزائرية هذه الفكرة، و وقفت متحديّة لكلّ انتقاص و مساس بمكانتها و دورها في الحياة، فكانت كتاباتها في هذا السّياق بمثابة الردّ على النّزعة الذّكورية الّتي جعلت المرأة ضحيّة حتّى مع أقرب النّاس إليها، و من ذلك رواية" أصابع الاتّهام" لجميلة زنير في تصويرها للسّلطة الأبوية ، و من الكتابات النّسوية الّتي ذكرن بعض القضايا الذّكورية تحت خلفيّة التّحرّر النّسبي من خلال الموقف الجدلي مع الآخر بعض روايات أحلام مستغانمي، و علاقة صراع مع الأب و رجال العائلة كما هو الشأن عند فضيلة فاروق في تاء الخجل و مزاج مراهقة و علاقة تصوّر فيها تأزّم الذّات الأنثوية و الذكورية كما هو الحال عند بنور عائشة بنت المعمورة في "اعترافات امرأة"، كما نقف من خلال سيميائيات العنوان لبعض الرّوايات النّسوية على البعد النّفسي و العاطفي والاجتماعي للحضور الذّكوري بمختلف صوره، لأنّ" وضعه يخضع لاعتبارات عدّة تشير كلّها إلى حريّة المؤلّف في وضع عنوانه ، واختيار ما يراه أدلّ على ما يكتب"[3] ، و من ذلك رواية" رجل وثلاث نساء" لفاطمة العقون .

---

[1]- عبد الله الغذامي، المرأة و اللغة، ص115

[2]- يوسف وغليسي، خطاب التّأنيث، ص70

[3]- محمّد الهادي المطوي، شعريّة عنوان كتاب السّاق على السّاق فيما هو الفرياق، مجلّة عالم الفكر، ع:01، الملس الوطني للثّقافة ة الفنون و الآداب، الكويت، 1999م، ص457

المحاضرة الخامسة: الكتابات النّسوية الحرّة:

ولد الأدب النّسوي الجزائري في ظروف صعبة ممّا جعله ينفرد بسمات تحيل على تلك المعاناة الّتي شهدها المجتمع النّسوي خاصّة خلال الفترة الاستدمارية و ما ترتّب عنها من تبعات و عقبات سياسية و نفسية و اجتماعية قاهرة، الأمر الذي انعكس على الأجيال المتعاقبة ، حيث برزت كتابات نسوية عديدة محاولة الكشف عن خصوصيات القلم النّسوي لأجل إرساء صيغة التجربة الأنثوية المتميّزة بالفكر و الشّعور ، وهو ما جعلها تتميّز عن التّجربة الذّكورية من خلال عدّة اعتبارات منها:

- البنية النفسية للمرأة تختلف عن البنية النفسية للرجل، مما يفرض وضعا نفسيا مغايرا في الكتابة النسوية .

-البنية الجسدية للمرأة تختلف عن البنية الجسدية للرجل، مما يفرض وضعا جسديا مغايرا في الكتابة النسوية..

-البنية الاجتماعية الانطوائية على المرأة تختلف عن البنية الاجتماعية الذكورية المهيمنة.

- اختلاف خيال المرأة عن خيال الرجل، مما يستدعي اختلاف الذاكرة النسوية عن الذاكرة الذكورية[1] .

و يبدو أنّ الواقع الّذي عاشته المرأة كان سببا في انتخابها لكتابة خاصّة بها، من حيث الجانب اللّغوي و الموضوعي و الفنّي الجمالي، و بحكم تميّزها عن الرّجل من حيث الإحساس و العاطفة و الانفعالات فقد أنتج ذلك كلّه نصوصا أدبية مغايرة للكتابة الذّكورية، وهو رأي ذهب إليه بعض الدّارسين[2] ، و لعلّ ما يؤيّد ذلك هو تلك الكتابات الّتي تشعر بمحاولة انعتاق المرأة من القيود الّتي فرضها السّياق التّاريخي بكلّ مجالاته ، ممّا جعلها تتبنّى خطابا تمرّديا اتّجاه السّلطة الذّكورية بكلّ أنماطها الدّينية و العرفية و التّراثية و السياسية ،**كما تمثّل مرحلة السّبعينات بداية اندماج الشّاعرة الجزائرية مع الخطاب الشعري المتداول آنذاك ، حيث ظهرت عدّة أصوات نسوية مثل ربيعة جلطي و زينب الأعوج الّتي تجاوزت الذّات الأنثوية لتعبّر باسم الرّجل، بل انتقلت من مفهوم الأنا إلى مفهوم الآخر و جعلتهما**

[1]- حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ص111

[2]- ينظر : بشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، ص 27

ينصهران معا في سبيل القضيّة الوطنيّة الّتي يستوي فيها الجميع ،و تتجاوز فيها الأديبة جنسها لتتبنّى مقوّمات الرّجولة لمواجهة التّحدّيات المفروضة، و الواقع المزيّف و المبدّل، و في ذلك تقول زينب الأعوج:

و علانية أفضح القوائم المنسية و أمشي

أنا الرّجل- المرأة، فوق حدّ السّيف وعلى طريق النّار/ أنتم

الكثرة أنتم/ النّمل[1] .

و في ظلّ الكتابة الحرّة نجد بعض الكاتبات تجاوزن مصطلحات الحياء و السّتر ، و تخطّين عتبة الكتابة الممنوعة، من خلال النّصوص الأنثوية المصبوغة بالحزن، و الألم و المأساة و توظيف الجسد الّذي صار يمثّل هاجسا ثقافيا اجتماعيا، و صورة سرديّة تنطوي على أبعاد مختلفة و بكلّ حريّة ، لأجل الكشف عن المغيّبات و إبراز الذّات الأنثوية و فاعليّتها، و قد **بدأت ملامح التّغيير تظهر في الخطاب الشعري النّسوي الجزائري في السبعينيات مع بعض الكاتبات، مثل أحلام مستغانمي الّتي كانت جريئة في كتاباتها من حيث الموضوع، و الأسلوب، و التجنيس، خاصّة في ديوانها " الكتابة في لحظة عري"، بل صرّحت في روايتها" فوضى الحواس" بأنّه" لا مساحة للنّساء خارج الجسد"**[2]، كما كانت نهاية الثمانينات و فترة التسعينات والعشرية السوداء منعطفا هاما في تاريخ الأدب النّسوي فأخذت الأديبة الجزائرية على عاتقها مسؤولية حماية الوطن بقلمها، فمنهنّ من هاجرن ومنهنّ من كتبن بأسماء مستعارة حفاظا على حياتهن، سواء باللّغة العربية أو باللّغة الفرنسية كليلى صبار ومليكة مقدم، و في هذا السّياق نجد بعض الكاتبات أيضا قد تجاوزن في كتاباتهنّ السّياسية مرحلة الخوف و الصّمت و الانقياد، فعالجن العديد من قضايا السّياسة و وقائع العنف الّتي شهدتها البلاد خلال العشريّة السّوداء ، و من ذلك رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق، حيث تصف الرواية واقع بعض الفتيات اللواتي وقعن ضحية العنف و الوحشية و الاغتصاب وكيف تنكّرت لهنّ عائلاتهن، و كذلك في روايتها

[1]- زينب الأعوج، يا أنت من منا يكره الشمس، مجلة آمال، ع 02 ، ص159

[2]- أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، دار الآداب للنّشر و التّوزيع، بيروت-لبنان، ط20، 2011م، ص385

"مزاج مراهقة"، و بذلك صارت هذه الكتابة حقلا خصبا يتيح للمرأة المبدعة فرصة البوح و التّعبير بكلّ حريّة .